دراسات متقدمة فى اللغة العربية كلغة القران

(Dirasaat Mutaqatdimah Fillugah Al arrabiyyah kallugah al-Quran)

رسلان عبد الوهاب

تمتاز اللغة العربية عن معظم لغات العالم بأنها تكاد تكون من اللغات القلائل التى ظلت متصلة الحلقات يتحدث بها الناس و يتفاهمون بها منذ الجاهلية الى اليوم مما يبلغ أكثر من الالفين من السنين. و هى فى ذلك ليست مثل كثير من اللغات التى جمدت أو تحنطت أو اصبحت لغات عبادة و كهنة كالسنسكريتية أو العبرية أو اللاتنية,ولا مثل تلك التى تولدت عنها لغات أخرى مثل اللاتينية التى تولدت عنها معظم اللغات الاوروبية الحديثة, و الإغريقية التى تولدت عنها اليونانية الحديثة و تأثرت بها الروسية وغيرها من اللغات, و العبرية التى نجم عنها العبرية المعاصرة.

و رغم أن اللغة العربية الفصيحة ظلت هى لغة العلم و الادب و الثقافة العامة طيلة هذه الفترة إلا أنها قد صاحبتها ظاهرة الإزدواجية مما نشاهده فى حياتنا المعاصرة من انتشار اللهجات العامية العربية. كما نشاهد علاقة اللغة العربية بغيرها من اللغات الاسلامية التى تزامنت معها كالفارسية و التركية و الملايوية و غيرها من اللغات التى تأثرت

بالعربية. وكان معظمها يكتب بالحرف العربى. و بتأثير المستعمرين تحولت الغالبية العظمى من هذه اللغات الى كتابة حروفها بالحرف اللاتينى.

نشأة اللغة العربية :

قبل أن نناقش الحوار الجوهرى فى هذا الموضوع فان أحسن ما يساعدنا و يسهل علينا الى الوصول اليه هو ان نرى هذه اللغة من ناحية سلالية (العائلات اللغوية) و هى على أساس العلاقات بين العائلات اللغوية التى تنتمى اليها اللغة العربية.

فان اللغة العربية من هذه الزاوية تنتمى الى مجموعات اللغات السامية. و قد بين هذا جرجى زيدان بقوله : فاللغة العربية هى احدى اللغات السامية المتفرعة من اللغة السامية الاصلية المفقودة الآن و يسميها بعضهم اللغة الآرامية نسبة الى آرام أحد أبناء سام.[1] وقد قدم البروفيسور د. عون الشريف قاسم فى المحاضرة بمعهد الخرظوم الدولى مع تقديم الرسم البيانى لتوضيح سلالة العربية بالعائلات اللغوية السامية. و يتضح بأن اللغة العربية ليست من الآرمية كما قال بعض اللغويين.

---

[1]. جرجى زيدان, ***الفلسفة اللغوية*** . دار الجيل : بيروت 1982م ص. 29

فيقول: مع انها من اللغاتالسامية فانها متفرعة من السامية الجنوبية الغربية. وتولدت منها اللغة العربية الشمالية الفصحى.[2]

واللغة العربية الفصيحة مما نشاهده اليوم قد انتشرت فى مناطق واسعة من الأرض و تعلم بها جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس من غير العرب. فأصبحت العربية الفصحى ركنا أساسيا فى بناء الأمة العربية و الاسلامية إذ هى اللغة التى تمتاز من بين لغات العالم الكبرى بتاريخها الطويل المتصل وثروتها الفكرية و الأدبية وحضارتها التى وصلت قديم الانسانية بحديثها ورابطتها التى لا تنفصم بكتاب مقدس. فالعربية الفصحى لها ظرف خاص لم يتوفر لأية لغة من لغات العالم, ذلك انها ارتبطت بالقرآن الكريم منذ اربعة عشر قرنا ودون بها التراث العربى الضخم الذى كان محوره القرآن الكريم فى كثير من مظاهره.

و لقد كفل الله لها الحفظ ما دام يحفظ دينه فقال عز وجل: إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون. ولو لا أن شرفها الله عز وجل فأنزل بها كتابه و قيض له من خلقه من يتلوه صباحا مساء. لو لا كل هذا, لامست العربية الفصحى لغة أثرية تشبه اللاتنية و السنسكريتية و

---

[2]. البروفيسورد. عون الشريف قاسم, ***دراسات منقدمة فى اللغة العربية (المحاضرة)***.معهد الخرطوم الدولى للغة العربية . سنة 1985م .

ازدادت على مر الزمان بعدا من الأصل الذى انسلخت منه. وكل هذا أكد لويس بقوله: إن وضع اللغة العربية – بالطبع – تقويها قوة الجهاد الدينى بما فيها من الأمور الدينية (أوامرها ونواهيها) بالاضافة الى القرآن الكريم.[3]

و بالاضافة الى ما قلنا ان اللغة العربية لا تقف على لغة دينية فحسب بل هى من اللغات العلمية و الثقافية حقيقة فتوفرت الكتب العلمية القديمة من عدة مجال علمة تكتب بها وقد عمل الغربيون الترجمة الى لغتهم. و الجدير بالذكر فى هذا الصدد ان الجمعية العامة للأمم المتحدة قد اعترفت بما حصلت عليه اللغة العربية و تجعلها من اللغات الرسمية و لغات العمل فيها.

وعلى كل حال ان أهمية وضع اللغة العربية يرجع الفضل الى أهمة العقيدة الاسلامية. ولعل العامل الدينى من أقوى عوامل انتشار اللغة العربية و نعنى به هنا ان تكون اللغة العربية لغة رسمية لعقيدة دينية ولهذا يقبل معتنقو الدين الاسلامى على تعلم اللغة العربية للالمام باصول عقيدتهم كما أن اللغة العربية فى هذه الحالة تكون رابطة أخرى بين المؤمنين بتلك العقيدة. و ان المسلمين فى العالم ينتمون الى قوميات

3. Lewis B. The Encyclopaedia of Islam. Volume III. Lusac & Co, London : 1979, P. 1216.

متعددة و ينطقون بألسنة متباينة يؤدون صلواتهم الخمس يوميا باللغة العربية التي أنزل بها القرآن الكريم وبذلك أصبحت اللغة العربية لغة مشتركة تجمع شمل المسلمين بالاضافة الي الايمان الذى وحد بين قلوبهم. وهذا العامل يلعب دورا هاما فى نشأة اللغة العربية و انتشارها فى العالم. وعلى سبيل المثال فى تطور الحط العربى الذى يكتب به القرأن الكريم.

وكانت هذه اللغة تكتب بخط المسند وهو خال من رموز الحركات وحروف المد و اللين وهو فى اسلوب كتابته انعكاس للحضارة اليمنية القائمة على المعمار إذ يرتكز فى حروفه على الخطوط الأفقية و الرأسية فى أشكال هندسية معمارية.[4]وأما كيف جاءنا هذا الخط العربى الذى نكتب به اليوم فله قصة تطول و تتوسع فيها المصادر و تختلف فى رواياتها, ولكن الراجح إن الحرف العربى و ما اقترن به من خط تطور من الآرامية و بالذات من فرعيها النبطى و السريانى. ويبدو أن الخط الكوفى منحدر من الخط السطرنجيلى (السريانى) و أن خط النسخ و خط الرقعة ولهما أسماء أخرى قد انحدرا من الخط النبطى التى تطور فى الأنبار و الخيرة فى مشارق العراق و منهما انتقل الى مكة و المدينة و الطائف و غيرها من مدن الحجاز,ويتراوح تاريخها بين عام 328م وأوائل

---

4. البروفيسور د, عون الشريف قاسم . المرجع السابق

القرن السادس الميلادى. فان الخط العربى وليد تطور بعيد المدى وما يزال فى حاجة الى يومنا هذا لمزيد من البحث و الدراسة لمعرفة تفاصيل تطوره و المصادر التى أخذ منها. و قد حفظ لنا تسجيل القرآن الذى تم فى عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم وما أُثِرَ عن الرسول من رسائل و مكاتبات صورا واضحة من هذا الخط فى بداية الدعوة الاسلامية و يبدو أنه كان مجردا من نقة الاعجام و الشكل وبعض حروف اللين.

ولما ازداد اختلاط العرب بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة بعد الاسلام وسرى اللحن الى الألسنة و خشى الناس على القرآن الكريم من هذه العجمة التى تفشت بين المسلمين دعت الحاجة الى ضبط أواخر الكلمات. و يرجع الفضل فى ذلك الى أبى الأسود الدولى فى زمن معاوية بن أبى سفيان فجعل علامة الفتحة نقطة من فوق الحرف, و علامة الكسرة نقطة من أسفله, و علامة الضمة نقطة من بين يدى الحرف, و السكون نقطتين, و استعملوا مدادا أحمر فى النقط تختلف بذلك لون الحروف. و هذا ما يسمى نقطالاعراب. ولكن نقط أبى الاسود — وان نجح فى تعليم الناس صحة الاعراب- الا أنه ما كان لِيَحُول دون تحريف الكلم لتشابه كثير من حروف العربية فى رسمها.

فالجيم مشابهة للحاء و للخاء و الدال للذال وهكذا, و تتبين صعوبة التفريق بين الحروف المتشابهة فى مثل الكلمة القرآنية " فتبينوا و فتثبتوا ". و العربى ذو السليقة العربية يستطيع معرفة ذلك لأنها لغته. ولكن كيف لمن لا سليقة له ممن دخل الاسلام من غير العرب ؟. وقد كان ممن أدرك ذلك الحجاج بن يوسف الثقفى أمير العراق فى خلافة عبد الملك بن مروان (ت 86 ﻫ) فطلب من كتابه أن يضعوا لهذه الحروف المشتبهة علامات, فقام بالأمر نصر بن عاصم الليثى (ت 90هـ). فأحب أن يجمع الحروف المشتبهة ووضع نقطة عليها على ترتيب العدد (ب ت ث) و هكذا. و ينسب الى اللغوى يحى بن يعمر وهو من كتاب الحجاج أيضا اصلاح الرسم القرآنى فى أكثر من موضع فأضاف الالفات بعلامات تبين الف المد التى لم تكتب فى الرسم العثمانى. و الى الخليل بن أحمد(ت170هـ)يرجع الفضل فى وضع علامات الشكل أو الاعراب بالطريقة المعروفة لدينا. فبدل النقط التى ابتكرها ابو الاسود عند الحروف فوضع الفا صغيرة مبطوحة فوق الحرف للدلالة على الفتح و واوا صغيرة فوق الحرف للدلالة على الضمة و ياء صغيرة تحت الحرف للدلالة على الكسرة و صفرا أو دائرة صغيرة للدلالة على السكون وما اليها.

وقد ظل الحرف العربى و الخط الذى يكتب به محل عناية العلماء و الخطاطين طوال القرون ومع الامويين و العباسين بلغ شاوا بعيدا و قد بلغت الخطوط أو الأقلام اثنى عشر قلما فى بداية الدولة العباسية ذكرها حاجى خليفة فى كتابه " كشف الظنون ": قلم الجليل,قلم السجلات,قلم الديباج,قلم الطومار الكبير,قلم الثلثين,قلم الزنبور,قلم المفتح, قلم الحرم, قلم المؤامرات, قلم العهود, قلم القصص, قلم الحرفاج.

وقى العهود التى تلت تطور الخط العربى و ازدهرت مدارسه فى فارس و الشام و مصر و الاندلس و المغرب و غيرها وأصبحت هناك عشرات الخطوط المختلفة الاسماء مثل: الديوانى و خط الطغرة لدى العثمانيين و اتخذ منه الفنانون اداة للزينة.

وفى العصر الحديث كان موضوع الحرف العربى سلاحا فى معركة التحرر الحضارى اذ حاول المستعمرون استغلاله فى حربهم الحضارية ضد الاسلام و المسلمين. فزعمزا ان الحرف العربى الخالى من الحركات يصعب تعلمه و قراءته و دعوا الى أن يحل الحرف اللاتينى محله. و رغم أن المحاولات التى كان يتزعمها فى مصر منصور فهمى باشا, و سلامة موسى من بعده, لم تنجح فى حمل العرب على الاستغناء عن حرفهم الأصيل, الا أنها نجحت فى كثير من اللغات الاسلامية التى كانت

تكتب بالحرف العربى. وقد بدأها مصطفى كمال أتاتورك فكتب اللغة الطورانية التركية بالاحرف اللاتينية بدل العربية, و اللغات الاسلامية مثل لغات آسيوية كالاندونيسية و الماليزية.ولم يبق من اللغات الاسلامية التى حافظت على حرفها العربى الا الفارسية و الاردية الى جانب العربية.

و هناك من الشواهد الأثرية ما يستدل به على صلات القبائل العربية بغيرها من القبائل, وبغيرها من الاقوام من غير العرب خاصة أصحاب الحضارات القديمة الذين كانوا يحيطون بجزيرة العرب من جميع أقطارها تقريبا. وقد أدى بهم ذلك الى الاختلاط الواسع بغيرهم من أصحاب الحضارات مما هو واضح فى الكثير جدا من الكلمات التى دخلت منذ الجاهلية فى صلب اللغة العربية من اللغات الاجنبية و تعربت و استعملها القران الكريم ككلمات عربية لأن القران أنزل بلسان عربي مبين. فهذه الكلمات الأجنبية قد تعربت رغم أصلها الأجنبومنهاما ذكر السيوطى فى كتابه" الاتقان فى علوم القران ":

(سندس): الكهف 31 :

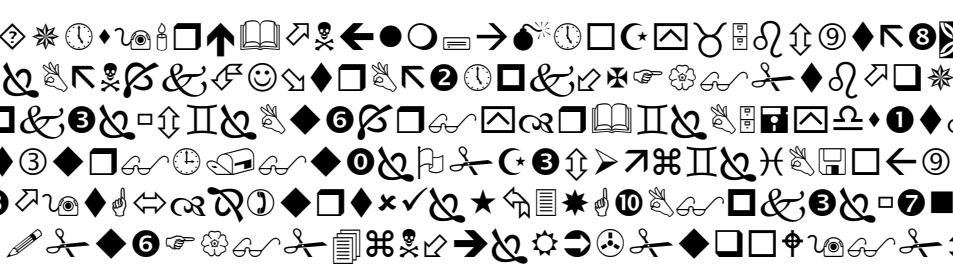

قال الجواليقى : هو رقيق الديباج بالفارسية وقال الليث: لم يختلف أهل اللغة و المفسرون فى أنه معرب وقال شيذلة: هو بالهندية.

(الصراط) : الفاتحة 6

حكى النقاشو ابن الجوزى أنه الطريق بلغة الروم. ثم رأيته فى كتاب الزينة لابن حاتم.

(الطاغوت): البقرة 256

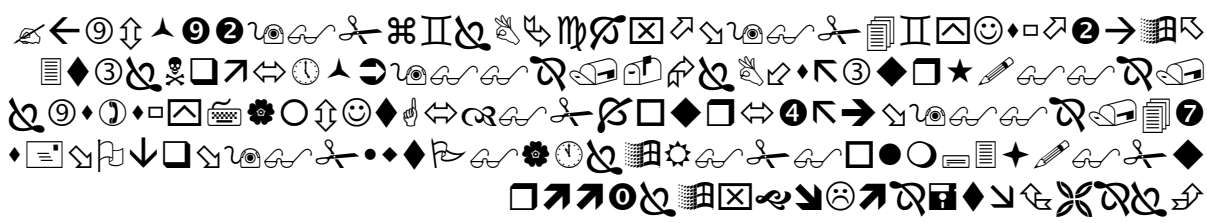

هو الكاهن بالحبشية

(عدن): أخرج ابن جرير عن ابن عباس أنه سأل كعبا عن قوله تعالى : التوبة 72:

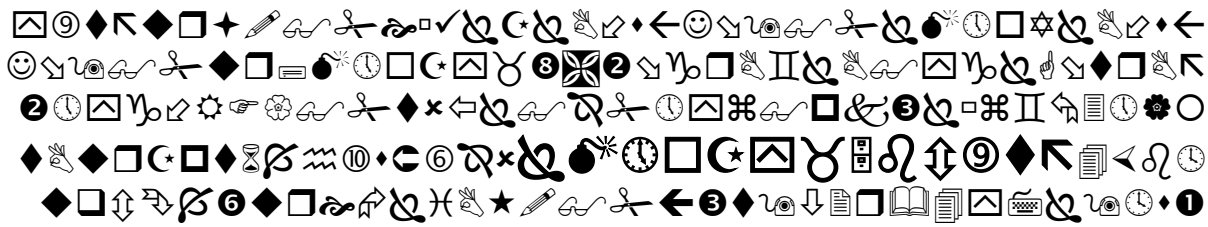

قال: جنات كروم و اعناب بالسريانية, ومن تفسير جوبير انه بالرومية.

1: التكوير (كورت)

أخرج ابن جرير عن سعيد بن جبير: كورت : غورت, وهى بالفارسية. [5]وهناك عشرات المصادر الاخرى دل عليها العلماء. فهو على أى حال قد دخلت لغتهم الى العرب وأصبحت جزءا منها فهو من هذه الناحية قد تعربت, و يصدق هذا أن نقول ان كل هذه الكلمات التى تعتبر أجنبية مثل ما ذكرنا و ما لم نذكر مما تحفل به المراجع المختلفة هو قد تعرب و دخل فى صميم اللغة العربية وخير دليل على هذا القران الكريم كما تحدث عن نفسه انزل بلسان عربى مبين فهو قران عربى غير ذى عوج وكل مافيه عربى بهذا المعنى.

نشأة الدراسات اللغوية

كما كان القران الكريم المرآة الصافية التى انعكست على صفحتها عبقرية اللغة العربية فى أرقى صورها, فقد كان أيضا المحرك الاعظم ليهمم

---

[5]. الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى, **الاتقان فى علوم القران** , دار الحديث : القاهرة :2004 م. ص. 415-444. 302.

العرب لكى يتناولوا لغتهم بالبحث و الدراسات ليفهموا ما جاء به القرآن الكريم من معان و أساليب الى جانب الدراسات الاخرى. و الذى يهمنا فى هذا المقام هو نشأة الدراسات اللغوية و الادبية و علاقتها بالدرسات القرآنية. ومن الواضح ان تفسير القرآن الكريم منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتطلب معرفة واسعة باللغة العربية و ادابها. و كثيرا ما كان عبد الله بن عباس رضى الله عنه يفسر القرآن الكريم بالرجوع الى الشعر العربى القديم. وقد وجد العرب أنفسهم بعد الاسلام فى حاجة ماسة للرجوع الى تراثهم القديم لكى يفهموا القرآن و لكى يفهموا أنفسهم أكثر. وقد ذكر العلماء ان العلم باللغة العربية وفروعها شرط من شروط يتوقف عليها المفسر وقال المجاهد " لا يحل لأحد يؤمن بالله و اليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله اذا لم يكن عالما بلغات العرب".[6]

وقد كان من الطبيعى و قد اختلط العرب بغيرهم من أهل البلاد المفتوحة فى الامصار الذين دخلوا فى الاسلام واتخذوا من اللغة العربية وسيلة للتفاهم ان يسرى اللحن الى السنتهم و أن تكثر الاخطاء اللغوية

---

[6]. مناع قطان, **مباحث فى علوم القرآن** , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان: 1998. ص. 302.

بينهم وقد امتد ذلك الى قراءة القرآن الكريم نفسه مما حمل أهل الرأى الى التفكر فى معالجة هذا الخلل خاصةوان ذلك لم يكن قاصرا على غير العرب بل ان كثيرا من العرب أنفسهم الذين بعدوا عن بيئتهم العربية بدأوا يتأثرون بالجو المحيط بهم فسرى اللجن الى السنتهم كما ذكرنا فى الصفحة السابقة.

وقد كانت البصرة و الكوفة المدينتين اللتين ازدهرت فيهما الحركة العلمية و منهما انتشرت الدراسات اللغوية و الادبية و الدينية و الفلسفية فى بقية العالم الاسلامى و كانت البصرة أسبقها لموضعها الهام الذى جعل منها نقطة التقاء للبشر و للثقافات اذ فيها التقى العرب بالفرس و الهنود و اليونان و غيرهم من البشر و امتزجت التيارات الحضارية و تلاقحت و انعكس ذلك على النشاط العلمى خاصة فى مجال علم الكلام حيث كان للمعتزل دورهم المشهور فى النظر الفلسفى و فى مجال الدراسات النحوية حيث كان للبصرة منهجها المنطقى فى دراسة اللغة. وكان كل ذلك يشكل مفارقة لما كان عليه الحال فى الكوفة حيث كان الاتجاه العربى هو الغالب, ومن ثم اهتمت الكوفة بالدراسات القرآنية و بجمع اللغة و الشعر القديم, وكان منهجها – و ان تأثر بما

كان يجرى فى البصرة – فهو أقرب الى منهج الرواية و الاستشهاد بما كان يؤثر عن العرب من نثر و شعر.

و ذكرنا فيما سبق أن القرآن الكريم محور الدراسات اللغوية و الدينية و الفلسفية و تحدثنا عن المحاولات الاولى التى قام بها أمثال أبى الاسود الدولى و يحي بن يعمر و نصر بن عاصم و كلهم من علماء البصرة وهم الى جانب عنبة الفيل و عبد الرحمن ابن هرمز (ت 117هـ) و عبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى (ت 117هـ)الذى كان أول من علل النحو و أخذ بالقياس و كانت له مواقف مشهورة مع الشاعر الفرزدق, كان هؤلاء هم الطبقة الاولى من نحاة البصرة. و جاءت بعدهم الطبقة الثانية و أهم علمائها عيسى بن عمر الثقفى الذى ألف كتابين فى النحو, وأبو عمرو بن العلاء (ت 149هـ) المشهور بالقراءات و دراسة الشعر, و تبعتهم الطبقة الثالثة و أهم علمائها الخليل ابن أحمد الفراهيدى (ت 175هـ), و الاخفش الأكبر (ت 177هـ), ويونس ابن حبيب (ت 182هـ), و عن هؤلاء أخذت الطبقة الرابعة و أهم علمائها سيبويه (ت 188هـ) مؤلف " الكتاب" , و اليزيدى أبو محمد يحي بن المبارك (ت202هـ), وهكذا الى أن ختمت طبقاتهم بالمبرد صاحب كتاب الكامل (ت 285هـ).

و قد بدأت الدراسات النحوية فى الكوفة بعد حوالى القرن من بداياتها فى البصرة , وما وصلنا عن الطبقة الاولى الكوفية ومنها الرؤاسى و معاذ الهراء (ت 187هـ) وقد تلقيا العلم فى البصرة و لكن البداية الحقيقية للنحو الكوفى تبدأ مع رأس الطبقة الثانية وهو الكسائى (ت 189هـ) وقد أخذ العلم عن الخليل بن أحمد البصرى وعلى يديه قوى المذهب الكوفى.

و لعل أهمية منهج البحث اللغوى من هاتين المدرستين يرجع الفضل الى أمس الحاجة لفهم ما جاء به القرآن من معانو أساليب.فالدراسات اللغوية التى قام بها علماءنا القدماء من عدة الزوايا لها دور هام فى تشجيع اللغويين المعاصرين لكشف الكمنة فى اللغة نفسها. و ان هذه الدراسات ليست لغوية مستقلة انما تتصل وثيقة الارتباط بغيرها.فإن اللغة بطبيعة الحال ليست سلوكا عشوائيا بل هى سلوك نظامى يتغير فيه المعنى بتغير فيه التركيب. و التنظيمات اللغوية تشتمل على عدة تركيبات للرموز أكثر تعقيدا,فالنظام الصوتى و النظام التركيبى و النظام الدلالى و ما الى ذلك . فنتمنى ان تكون هذه الرسالة تفيدنا و نستفيد منها باسم تنمية الحضارة العربية الاسلامية.

المراجع

مناع قطان, **مباحث فى علوم القرآن** , مؤسسة الرسالة , بيروت لبنان: 1998.

الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطى, **الاتقان فى علوم القران**, دار الحديث : القاهرة :2004 م.

حاجى خليفة, **كشف الظنون**, بيروت بدون السنة

Lewis B. The Encyclopaedia of Islam. Volume III. Lusac & Co, London : 1979, P. 1216.

البروفيسورد. عون الشريف قاسم, **دراسات منقدمة فى اللغة العربية (المحاضرة)**.معهد الخرطوم الدولى للغة العربية . سنة 1985م .

جرجى زيدان, **الفلسفة اللغوية** . دار الجيل : بيروت 1982م

الامام العلامة ابن منظور , **لسان العرب**, الطيعة الثالثة, دار احياء التراث العربى, بيروت لبنان.

العلامة الراغب الاصفهانى, **مفردات الفاظ القرآن**, دار القلم, دمشق, 2002م